مسرحية : لفاريب الكبير : بول فاليري

نقلت في اوبرا باريس عام ١٩٣١ : حقوق الترجمة والنشر باذن المؤلف

الاشخاص

امفيون اپولون شخص غير منظور الالاهات الاربع الاحلام الشعب

« نقلها : خليل هنداوي »

[يرتفع الستار عن نقب أو خرق واسع في صخرة على ذروة جبل يتهادى نحو السماء والفسحة الخارجة من يمين الصخور وشمالها انطبها اشجار كثيفة من الكستنا والسنديان . وفي الاعلى تسطع القمة العارية ، وعلى يمين القمة صخور متبلورة وقليل من الثلج يلمع هنا وهناك في الأعالي . وفي وسط المشهد ينبوع يشف ماؤه القاتم ، وحوله تصعد شماريخ مختلفة تمتد بصورة غير منتظمة حتى تسد هذا النقب . وفي هذه النواحي فسحات فارغة . اما السماء فقد سطع منها جانب من المجرة . فيها ذرات مضيئة ونجوم مختلفة الحجم . والفضاء المظلم يبسط هنا وهناك . . . . في هذا المشهد يقع البصر على أشباح ليلية ترقص زمراً زمراً في كل مكان . تختفي ثم تُرى حيث تكاثف الظلمة المحيطة بها . ثم يدخل من اليمين والشمال رجال ونساء يفتش بعضهم عن بعض ، يتساءلون ويتفاهمون بالاشارة ، ويتوارون وراء الاشجار ، يجنحون الى الراحة ويدخلون في الظلام ، فتسمع الاذن في هذه الهدأة خفيف الكون ، ونسمة غير انسانية . وعلى هذه النغمة الواحدة تتمالى أنشودة الينابيع بصوت كصوت الاطفال] .

اليانيع : نحن اليانيع ، لنبك الزمن الفاني
بالقطرات المتتالية !
من دموع الثلج تجري كل حياة
وبنا تبكي الارض باكية حتى البحر .
« يدخل امفيون وتملن ألحان صادحة عند قدومه . يدخل حاني الظهر »
« ويده حيوان على هيئة مسخ . يضغط على هذا الحيوان بقدميه ، ويسل »
« مديته ، وبينما هم بذبحه يسمع :

صوت : لماذا ؟ لماذا ؟
دع الحياة تحيا
واترك الموت بأيدي الخالدين !

« يسمع امفيون هذا الصوت فيطرح مديته ويفر الحيوان سالماً . وبعد »
« تردد قليل يتجه الى مغارة عميقة ، فيخلع الجلد عن ذراعيه ، ويجلس »
« متأملاً في السماء الكوكبة ثم يغرق في الكرى . تنظم السماء قليلاً قليلاً »
« وعلى بساط الظلام تبدو الاحلام وهي تزور النائم . وبينما حلمان غارقان »
« بالنعيم يريدان حربه ، فيلتفهما مسخ ، وتبدو اشخاص عليها رخرف »
« غريبة . وامفيون غمره الرقاد ، وأخذ يظهر له « الحلم العاشق » بزي »
« راقصة عارية ترتدي رداء طويلاً ، تحتوعليه وتلمسه وتمرح به ، وكلما »
« تحرك منه عضو أجفلت منه طائرة »
وهنا تظهر الالاهات . . .
إلاهة تخرج من الينبوع وتنادي
« إلاهة » !
وثانية تخرج من صخرة وتنادي
« إلاهة » !
وثالثة ورابعة تزاحم عنها الصوت وتناديان
« إلاهة » « إلاهة » !
تتالى هذه الاصوات في زمن واحد ، وصواحب هذه الاصوات يخطرن

في الظل كأنما يضنّ ، يجتمعن ويأخذن بعضهن بأيدي بعض.

إلاهة ١ : أني لأرى ما لم يكن !

إلاهة ٢ : أعرف ما لا يكون !

إلاهة ٣ : أصنع ما سيكون.

إلاهة ٤ : وانا لا شغل لي الا الحب

إلاهة ١ : يا رفيقاتي ! يا أسراب النحل الجميل

لنطع الله ولنقدم اقسى لهذا الانسان !

« ٢ : ان روحه تختبط في جحيم التعاس

« ٣ : انهُ يتهد

« ٤ : انهُ يتململ

« ٢ : انهُ يتمنى

« ١ : انهُ يظن بأنهُ يحيا ! . . .

ولكن لنحترز من ان يثيره الافراط في الألم قبيل الفجر !

هيا الى العمل ، ولكن لنبدد قبل كل شيء هذه الصفوف المشوشة من الاحلام !

[يبدأ قتال بين الاحلام والالاهات ينتهي بطرد الاحلام ، وآخر القتال مع الحلم العاشق .

[وها هنا يشتعل الظلام قليلاً قليلاً ، ولا شعاع الاّ شعاع الالاهات. يسطع بالنور الازرق وامفيون بنور فضي . والالاهات يعطفن على « امفيون » الذي لا يزال نائماً ، وهن يرقبنهُ بحركات سحرية وكلمات سهمة !

المهزهزة الساحرة : ايها الرجل النائم

ان الليل يضيء عليك

والكون قد اوجدتهُ الالاهات

[تجتمع الالاهات حولهُ حلقة احتفالية ، واحدة على قدميها واخرى على رأسه ، واثنتان حول جسده وقد بسطتا أيديهما وشخصت عيونهما في السماء.

أيها الاخوات الامينات للعبقرية الالهية

الجميع : إن هذا الرقاد الذي مهدتهُ أيدينا
يُسلم هذا الانسان لله

الالهة : يا لهُ من سلام قدسي يتألق على هذا الوجه الصافي !

الالهة : انهُ تمكس عليهِ ابتسامة احلامها النجوم

الالهة : هذا الجسد الصافي ، هذا الجسد الساكن شبيه بالمجد !
بالحجر المقدس .

الالهة : وروحه أضاعت سبل الحياة .

الالهة : انهُ كالخالد يجهل نفسه .

الالهة : انهُ — الآن — ليس الاَّ ما سوف يكون !
يصغ الى الهاوية !

[رعد بعيد والالاهات يسجدن]

صوت ابولون: [كأنهُ يصعد من جوف الشهد]
امفيون !

الالاهات : ابولون !

الاصداء : ابولون !

الالاهات : تحيك في جنح الليل السحيق يا آله النور !
كم يحلو في اعماق الظلمات الاصغاء الى الكلمة القوية . . .

الالهة : يا سبب الشمس ، ان الظلمات تبتدك ،
والضعفاء من الرجال يحلمون في رقادهم بفجر سني يطلع عليهم من يديك .

الالهة : ألا زر هذا الراقد ! وأيقظ فؤاده حتى يصغي شيطانه الخاضع الى صوت
الحكمة القدسية
ابولون !

الاصداء : أ ، بو ، لون ! . . .

الجميع : اضرب يا الهنا ، أضرب . . . أنر ، وأضيء ،
بصوتك الخالد اضرب هذا الراقد !

كما تسطع الشمس الصافية على ذروة الجبل وتنير القمة الشاهقة السامقة !
اضرب أيها الالـه ! تعال أيها الآلـه . . .
الاصداء : أيها الآلـه !
[رعد بعيد]
[الالاهات ساجدات ولمعة غريبة على وجه امفيون]
صوت ابولون: امفيون !
اني انتخبتك من بين البشر كما ينتخب الحب :
وكما تنتخب العاصفة القمة .
أني اصطفيتك . . .
فيا أيتها النفس الضيقة اسمعي وتقبلي ابولون !
[يرتعش امفيون]
الالاهات : ابولون !
الاصداء : ابولون
صوت ابولون : اسمع اني سأكون بك مغرماً للناس ، للذرية الفانية .
سأعطيك منشأ النظام
سأنزل عليك في اللحظة النقية الصافية
إذ ذاك ينشأ على وجه الارض فصول معظمة تفسرها الحكمة السماوية
سأأتمنك على ما ابتكره « هرمس »
وسأهبك الآلة العجيبة المذهلة
العود . . . .
امفيون ، امفيون !
أيقظ النغمة البكر وانتصر بها
ستغتني على أوتاره السبل التي تتبعها الآلهة وستجدها .
وعلى هذه السبل المقدسة تقتفي أثرك النفوس .
المادة الجامدة تغدو أسيرة عودك .
خذ العود سلاحاً وحرك الطبيعة

وليولك عودي معبدي !
ولترتجف الصخر باسم الاسم الالهي . . .
واجذب من الضباب هذه الخرائب من النسم !
وقدم لي منذ الفجر معبداً منيراً
ولتكن حوله مدينة كبيرة تبتهل فيه بالصلاة .
ولترفع يداك اليَّ مقدساً لي ما خلقتُ وأبدعتُ
امفيون ! . . .

الالاهات : ابولون
الاصداء : ابولون

[تتسرق الاصداء . . .

صوت ابولون : واحنَّ أيتها الالاهات الجميلات الأمينات !
أيتها العزيزات التقيات !
ايتها العاقلات !
احيينه واحرسنه !
ولكن اطلبنَ ألاَّ سعادة له ، ولا سعادة تنتظره - انهُ لا يحيا الاَّ من أجلي !
انني اتخذته كفئة تتخيرها العاصفة !

[تنهض الالاهات وتقبل يديه وقدميه وجبينه

اصوات من حول بعيد : امفيون ، كن معجزة
وكن صحبة المعجزة الكبيرة

[يشمل الليل ولا يسمع فيه الاَّ اصوات الالاهات اللواتي يتنادينَ في الظلام]

الالاهات : الاهة ! الاهة ! الاهة .

[يعود النور قليلاً قليلاً مصبوغاً بألوان الفجر وتتوارى الالاهات فيرى العود عند قدمي « امفيون » وخلجة مبهمة من الطبيعة الحية التي تتيقظ . وهتاف عصافير وهدير مياه . وتكزار تشيد البنابيع]

[يستيقظ الرجال والنساء ، منهم الذاهب الى صيد ، ومنهم الرائح الى عمل . والنساء بين الواردة منهل الماء ، والراقدة على الماء تتراءى ، والصغار يلعبون ويتخاصمون . فيضطرب امفيون]

[يتيقظ امفيون وفي خلال هذا المشهد يغسل الاشخاص ، والموسيقى توقع ممثلة حركات « امفيون » يستوي فجأة على مضجعه ويتأمل ثم ينتصب ويمشي بضع خطوات ، يتروح نسيم الفجر ثم يهبط الى الينبوع ويرشف منه طويلاً . يرقص كمن يحرك أعضاءه ، فيقع بصره فجأة على العود يتأمله امفيون مستغرباً ويمسكه]

[يضرب فجأة فيرن وتر من اوتاره رنيناً قويًّا يجيب عليه هزيم الرعد وكتلة من الخيل تسقط ولها صوت عظيم ، ينهزم الناس مذعورين . منهم المقبل ومنهم المدبر ، فيرتاع امفيون ويترك العود ، ثم يعود اليه محاولاً ، القيام بتجربة ثانية .]

[مرة ثانية . تعطي ممثلة رقيقة فتهوي اليه بعض الصخور هوينًا لطيفاً لا صوت له ، ويطلع عليه عشاق وعاشقات مادين بأذرعهم اليه . وقد عقدوا الايدي وانسلوا رويداً رويداً ، فيضع العود ويتأمله ، وهو جالس على صخرة يكشفها الماء فيرى وجهه . . . فيعود اليه حلمه قليلاً قليلاً ، وتسمع ممثلة مهزهزة الآلآهات بفم مطبق ، فينهض امفيون مذعوراً ويحدق في السماء مستجداً مستغيثاً]

الالاهات من حيث لا تنظر : امفيون !

امفيون : من يناديني ؟

الالاهات : نفسك !

امفيون : لتذكر نفسك

١ : من يتكلم ؟ أذكر . . ان صوتاً علويًّا ، ان صوتاً لا وجه له يتكلم في جنح الليل

الم اسمع كلمات القضاء ؟

هل اراني اجد سبيل غرائب الظلام ؟

٢ : ايها الصوت القدير !
لقد قيل . . . انهُ تكلم . . .
كما تتكلم الهاوية المنارة
هو الذي يخيل اليّ ان في السكون وتحت النجوم يناجي ذرية الانسان الشقية ذات الارواح الزائلة !

٣ : أنهُ قال . . . السماء التي تتكلم
قالت :
« امفيون !
انني انتخبتك كما ينتخب الحب
انني اصطفيتك كنغمة تنتخبها العاصفة . . .
انني اخترتك !
وحبوتك الآلة الغريبة
العود ! . . .
خذ عودك سلاحاً وايقظ النغمة البكر
وليولد عودي معبدي !

٤ : ايتها الآلة الخفية ما اعظم قدرتك !
ايتها الآلة التي تهب الحياة والموت
انت التي تنفذ ملاعبها الالهية روح الوجود !
انني اكاد المس اوتارك الذهبية التي شدها الاله
السماء والارض ارتعشتا
واحسست ان الصخر يهتز كأنهُ بدن امرأة مأخوذة !
ورأيتُ
الغضب والحب يولدان في الناس
والغضب والحب يفيضان من بين انامل ! . . .

٥ : هل جرحت او صدمت او جذبت
جسد الوجود الحي ؟ وقد يكون ذلك
وهل أثرت — على غير علم مني — في مادة السماوات ؟
وهل لمست الكائن نفسه الذي يواري عنا أسرار الاشياء ؟
ها أنا الآن أقوى من نفسي .
ها أنا أجدني غريباً ومحترماً لنفسي
تائهاً في نفسي ، وسيداً حول نفسي !
ارتعش كالطفل ازاء ما اقدر عليه
٦ : ابولون ، ابولون ، انني سأطيعك
مؤلفاً رسومات على السود
أناملي هي آلهة ،
وقلبي سابق للناس
٧ : سأغير على الصخور المضطربة المشوشة
وصولي الصافية ستسخر لأثر لا مثيل له ،
خرائب الفهم والمسوخ المتدحرجة الهاوية من حنايا عالية !
٨ : مولاي ابولون معي . . .
سأتبع العسل والجمال كغريزتين !
ابولون يتعبرني ويعزف مع صوتي .
سيأتي هو نفسه ليبني معبده .
والمدينة التي ينبغي ان تظهر لعيون الناس قد شوهدت تلمع وتسطع
في مساكن الخالدين على الأبد .
[يأخذ امفيون عوده ويريد السماء ويتأهب للعزف وقد امتلأ صدره حمية
ويقيناً ، يضرب على الاوتار ضرباً يسمو فيه الفن سمواً رفيعاً فتهتز الطبيعة
وترجع الاصداء صوته ويطفح المشهد بالمذهولين . . . .
ثم يعزف ضرباً من الرقص المقدس ويستوي على قاعدة الصخور من
الجهة اليمنى ويصيح :]

امفيون : بك يا ابولون !
[وهنا يبدو فن البناء وهو مما يدعي فيه التلاؤم بينهُ وبين الموسيقى والاشارات والحركات . والموسيقى هي المعبرة عن حركة الاشخاص والآلات المتحركة . (١) الحان الحجارة — حجارة ترحل وترتفع لبناء المعبد ، والحان الحجارة تبدأ بايقاع ينتظم قليلاً قليلاً]
جوق غير منظور : يالقيثارة ! يالقرائب !
الصخر يمشي والارض تخضع لهذا الالـه .
أية حياة مروعة تدب في الطبيعة !
كل شيء ينحني ! كل شيء ينفش عن النظام لينتظم
كل شيء يحس أنهُ خاضع لقدر
[البناء يكمل ، واجزاء من العمارات منثورة في احناء الجبال . رسم المعبد يتوطد . . . عمارة صغيرة مؤلفة من عدة رواصف كاسيات ، ثم تظهر الالاهات موشيات بالذهب ، ينتظمن في المعبد كأنهن اعمدة . . . ويرتلن]
الالاهات : يابنات الذهب ! المزينات بشرائع السماء . . .
يسقط علينا وينام الـه لونه لون الشهد !
[يسطع النور وتشتد الموسيقى . وخلال ذلك يتبدل المشهد ، فالجبل ينتشر عليه البنايات ، وقد غطت الجدران ولمعت السقوف في الشمس والشعب منتشر زمراً زمراً]
جوق الشعب : ايتها الشمس المباركة طلعتها !
أيها اللهب الذي يحمل في السماوات المعرفة والحياة . . .
ايتها الشمس !
ليس ثمة من يقوى على تأمل مصدر قوتك !
ان لمعة الطلعة الالهية — اللمعة التي لا تطاق — تحجب عنا الالـه !
اما انت فانظري ايتها الشمس عجائب الانسان :
ها هنا يبدو عالم يصنعهُ احد منذ أشرق وجهك على الوجود !

جوق الشعب: ها هو امفيون ، امفيون الظافر يقدم لك هذه الحجارة الجنية لكي يلتقط أشعتك الصافية .

اقم هذه المساكن المسوهة بالذهب ، ونصب لك هذه الجدران العالية .

أيتها الشمس !

تأملي معبدك وأريحي شعاعك المتوقد على شكله البديع !

ولكن جميلاً عذباً بالشعاع المنحدر من الجبين الالهي !

(دعاء وتهليل ، يدعى امفيون الى المعبد !)

جوق الشعب : امفيون الجليل تقبل مدائحنا !

كن قائدنا ، وملكنا .

اصعد الى العرش ، واصعد الى المعبد ، يا امفيون ! ...

(يدخل امفيون وقد احاطت به الجماهير وعليه الزينة المتسقة)

(وخلال هذا المهرجان تتقدم الالآهات)

الالهة (١) : الليل انتهى ...

الالهة (٢) : سأتحرى عن معلم ثان

الالهة (٣) : لا يهمنا امره مهما كان !

الالهة (٤) : انني لم اكن الا أملاً ... !

(ينسرحن الظلام وفي اللحظة التي يهم فيها البطل بالصعود الى الهيكل يدنو منه خيال امرأة محجوبة ، يدخل الملأ ويسد عليه الطريق بذراعيه المفتوحين على شكل صليب . يهوي على الزينة حجاب . والنور يضعف والموسيقى يخف بأسها . يدور امفيون ولكن الخيال المحجوب يمسكه بحنان ويأخذ منه العود الذي انبثقت منه الحانه وتلقيه غير بعيد في الينبوع فيوازي امفيون وجهه في حجر هذا الخيال الذي هو : الحب او الموت . وينجذب بها منقاداً مذهولاً ، بينما الموسيقى تعزف لحناً مظلماً عذباً قليلاً .)

« الستار »